بسم الله الرحمن الرحيم

(عبد الرحمن عبد الخالق بين الحور والكور)

أ- قبل ربع قرن قرأت (فضائح الصوفية) وحمدت الله الذي أنقذ كاتبه من براثن الفرق والأحزاب والجماعات الموصوفة زوراً بالإسلامية إلى منهاج السلف الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وشكرت الله على هذه النعمة عهدت إلى أحد إخواني في مصر من الدعاة إلى الله على بصيرة بإعادة طبعه وتوزيعه هناك، فمن مصر بدأ وإليها يعود، وهي أحوج ما تكون إليه.

ومثل أخي عبد الرحمن عبد الخالق الذي نهل من علوم الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في أول أمرها وأحسن أحوالها يوم كان يرأسها الشيخ عبد العزيز بن باز (وخلفه الشيخ عبد المحسن العباد) وعلّم فيها ابن باز والشنقيطي والألباني والعثيمين وأمثالهم أثابهم الله الجنة، مثله كان مؤهلاً للعودة إلى مصر لمحاربة الإشراك بالمقامات والمزارات والأضرحة، وما دون ذلك من البدع والخرافة؛ خلفاً لمحمد حامد الفقي وعبد الرحمن الوكيل وجميل غازي رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته، بجانب - لما فعلوا - بالقرآن والسنة والفقه في الدين، وليس ذلك على الله بعزيز، مع أن الله ميز الثلاثة بما ندر من قبل ومن بعد.

ب- فوجئت عام ١٤٠٩- فيما أتذكر- بمقال لعبد الرحمن عبد الخالق نفسه ينقض غزله (في التعليم إن لم يكن في العمل) في مجلة كويتية بما لا أجد له وصفاً غير الكفر بنعمة الله عليه وعلى المسلمين بالعلم وبالعلماء بشرع الله والدعوة إليه على منهاج النبوة في الدولة والبلاد المباركة التي ميزها الله (وحدها منذ القرون المفضلة) بتجديد الدين ثلاث مرات في كل قرن من القرون الثلاثة الأخيرة. وظهرها (وحدها) بأمرائها وعلمائها (ثلاث مرات منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري) من مقامات ومزارات ومشاهد الوثنية الأولى، وزوايا التصوف، وبدع المساجد والمقابر وغيرها بينما تجد أوثاناً باسم الحسين والشافعي وغيرهما منذ عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وقبله في بلاد مصر والشام وغيرها على كثرة علمائها الأعلام، وما زادها حكام الفاطميين الذين اقترفوها والأيوبيين والمماليك والعثمانيين إلا تمكيناً، بل لا تكاد تسمع نزعة عنها إلا من ابن تيمية وتلاميذه ثم حماة أنصار السنة في مصر والسودان، بل ظل ابن باز الذي عنه أكبرهم (عبد الرحمن عبد الخالق) هداه الله ورده إلى الحق، وهي أول وأعظم وأهم ما أرسل الله به كل رسله، بل هو يعيب على علماء السعودية اهتمامهم بقضايا الألوهية والنهي عن

عبادة القبور مع أنه لا يوجد فيها قبر ولا من يدعوا غير الله)، ولعلّ نسي ولم يجزل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايعنا في المدينة النبوية من المؤمنات كما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: «ألا تبايعون رسول الله؟» (ثلاث مرات) قالوا: قد بايعناك يا رسول الله (ثلاث مرات) فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأسرّ كلمة خفية ألا تسألوا الناس شيئا». ولعلّه نسي ولم يجزل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يردّد في أيام مرض موته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» بروايات وألفاظ مختلفة أكثرها في الصحيحين ومن قول عائشة رضي الله عنها: يحذّر مثل الذي صنعوا، وعن أبي عبيدة رضي الله عنه: أنّ آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم: «... واعلموا أنّ شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (تحذير الساجد)، وكان يقول هذا (في الغالب) لكبار أصحابه وآل بيته.

وكيف لا يعي من درس في المدينة وأقام فيها أن عدد القادمين الى المدينة وحلة المباركة من بلاد المسلمين الأخرى أكثر من أهلها أضعافا مضاعفة وهم لا يكادون يعرفون الفرق بين التوحيد والشرك وحالهم يدعون غير الله ويطلبون منه المدد ويذبحون وينذرون له ويطوفون بقبره ويستغيثون به، أفهم يقرّون ذلك أو لا يدرون عنه، وفيهم التذكير بشرع الله إن لم يكن في أعظم أمور الدين؟ (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) هذه شنشنة عرفناها من الحزبية الإسلامية (بزعمهم) وظهر أثرها في واجباتهم العملية وموبقاتهم وقصاياهم فلم يُذكّر فيها الأمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن وثنية القبور، وعمّروا رعاة السنة بأنهم لا يحسنون غير هذا وأحكام الحيض والغسل وتبعهم عبد الرحمن عبد الخالق.

ج- كتبت للأستاذ عبد الرحمن خطابا خاصا أذكّره بفضل الله عليه بمعرفة المنهج السلفي وتعاون السلفيين معه على الخير، وبيّنت له خطأ ظنّه مشروعية التحزب الديني، وأنه تفريق لجماعة المسلمين الواحدة والحزب الواحد والفرقة الواحدة والطائفة الواحدة على ما كان عليه النبي وأصحابه لقول الله تعالى: (إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) ولو كان التشيع العددي مشروعا لكان التشيع لآل البيت أولى من التشيع لمن دونهم. وإذا أصرّ على رأيه فلا داعي لمخاطبته على من لا يرون رأيه ومنهم: ابن باز والألباني وابن عثيمين والفوزان واللحيدان والفوزان وأبو زيد خاصة في كتابه القيم (حكم

الانتماء للفرق والجماعات والأحزاب الإسلامية) وهو خير كتبه على الإطلاق لعدم وجود ما ينافسه، ولرقته وشموله ولغته.
وقد فهمت من مقال الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق أن الذي أثار حنقه وأفقده توازنه هذه المرة فجاءته بفتوى اللجنة الدائمة برئاسة (ابن باز وعضوية الغديان والفوزان والفوزان رحمهم الله رقم ٦٧٤ في ١٤٠٧/١٠/٧هـ) وذكرت المضيف أنه كتب مسودة رده:
(لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً... فإن هذا مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعله بالعذاب العظيم... أما إذا كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة الدينية والدنيوية فهذا مشروع).
فأطلق عليهم تجاوز الله عنه تعميمه (الذي وصفه محاوره منه جريدة الوطن بالشراسة السلفية على السلفيين، والسلفية المعتدلة للبرلمانيين العلمانيين والليبراليين والشيوعيين):
وصفهم (بالعمى وقصر النظر والجهل بالسنة وبالفتوى الباطلة والقول الجزاف) وقد كرر وصفهم بالعمى في أكثر من مناسبة وبلا مناسبة، والعمى قد يُراد به الله بإذهاب السيئات ورفع الدرجات ويجزي الله الصبر عليه بالجنة، ولا يُعيّر به الأعشى أعمى البصيرة.
وقد همت من سلفي أردني ثم من سلفي سعودي أنه نشر رداً شرساً يرى أنه يليق به كتابته ونشره ورأيت أنه لا يليق بي مجرد قراءته.
ولعل من أسباب شراسته أنه طلب مني مرة تبليغ اعتذاره عن خطأ اعترف لي بوقوعه فيه لأحد ولاة الأمر، وقمت بما أستطيع ولكن النتائج بيد الله وحده، وتجاوز الله عني وعنه، ولسته يتمهل فلا يستعجل الحاكم فتكثر أخطاؤه ويتأخر اعتذاره فلا يقبل منه.
٥- وقبل يومين نبهني أخ في الدين والدعوة على مزاح النيوة من الكويت إلى حوار بين صحفي من جريدة الوطن الكويتية وبين الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق، ولولا هذا التنبيه (وأنه من أخ كريم يسرني الاستجابة له وأننا تعاونا كثيراً بفضل الله على البر والتقوى) لما عرفت عن هذا الحوار ولربما استمر انقطاع الصلة بيني وبين فكر عبد الرحمن عبد الخالق فلست من قراء الصحف والمجلات ولا من متتبعي الفكر.
وظهر لي - كما ظهر لأخي - ميل الأستاذ عبد الرحمن في هذا الحوار عن مزاج الوحي والفقه إلى مزاج الفكر الحزبي أكثر من ذي قبل وتناقض أقواله القديمة والجديدة بل الجديدة والجديدة، ولكن لا عجب فالفكر منبع التناقض؛ كما قال الله تعالى عن وحيه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾:

١) يجعل من صناديق الانتخاب (أصوات الجماهير) الحَكَم والمرجع والفيصل، (وإذا انتخب العلماني واللبرالي والشيوعي أحزمنا حقّهم ووجوده في البرلمان، أما إذا وضع الشعب مواصفات للمنتخب أو المنتخب من بينها ألا يكفر بالله أو أن من يقبل الكفر لا حقّ له في البرلمان فهذه قضيّة أخرى). وأين الحاكميّة والحُكم بما أنزل الله من حُكم الشعب؟ وقد قال في كتابه (المسلمون والعمل السياسي): (لا يجوز بتاتاً الإضرار أو الاندماج أو تكوين صفّ واحد مع أحزاب وهيئات ترفع رايةً وعلماً ولها أهداف في الحياة تخالف هدف الإسلام كالشيوعيّة والبعثيّة ونحوها من الأحزاب اللادينيّة، بل يجب على أهل الإسلام والتوحيد أن يرفعوا رايتهم المستقلة ولو لم يكن تحتها إلا رجل واحد، فإنه لا بدّ أن يحصل تنازل عن بعض الحق ثم أن نتغاضى عن بعض الباطل) من ص٤ ط٢.
الآن مع البرلمان السلفي والحزبي والعلماني والشيوعي في صفّ واحد؟
قلت: لعلّه يقصد بالعلمانيّة معنى خاصّاً به، ولكنه قال في (موقف أهل السنّة من البدع والمبتدعة): (ولا شك أن اللادينيّة أو العلمانيّة كفر وخروج عن الإسلام لأنّ حقيقتها أنه ليس لله أمر ولا نهي ولا حُكم) ص٩.
٢) يقول في حواره: (لا يمكنك التفريق بين الإخواني والسلفي إلا في الأولويّات ومرجعهما الكتاب والسنّة).
ولكنّ الإخواني أبرم ميثاقاً مع العلمانيّين في سوريا ومع حزب الشعب العراقي ومع حزب الوفد في مصر، وأعلن قائدهم أن الخميني هو أبو حماس الروحي، وزار ضريحه (وشنّه) وقرّب له الزهور. والسلفي يركّز على إفراد الله بالعبادة ونفرح بما سواه وعلى السنّة ونفي البدعة وعلى الأحكام الشرعيّة ومنها الحيض والنفاس، ولك أن ترجع إلى الفقرة (ب) من هذا المقال لتتذكر كيف نفى الحزبي الإخواني الأمر بتوحيد العبوديّة والنهي عن الشرك من كل مقدّراته وقد ولد قادته وعاشوا وماتوا بين الأوثان، فضلاً عن أحكام الوضوء.
٣) الإسلام يأخذ بنظام الخلافة، والإمام أو الخليفة ينتخب أو يأتي به أهل الحلّ والعقد، هذا ما يقرّره الأستاذ عبد الرحمن، ولم يقل هل أخذ الانتخاب من الكتاب أو من السنّة أو من فقه القرون الخيّرة حيث نسبه إلى الإسلام؟ أم هو التقليد لمن لا خلاق لهم؟ وأين يذهب الملك والإمارة اللذين تكرّر ذكرهما في الكتاب والسنّة الحرّ والخلافة بمعنى الولاية، وأين تذهب الولاية بالعهد التي هي الأصل قبل هذه الأمّة، وفي جُلّ ولاياتها منذ عهد أبو بكر لعمر وعهد عمر لواحد من ستة، وعهد معاوية ليزيد رضي الله عنهم جميعاً؟ يظهر لي أنّ عبد الرحمن

عبد الخالق لا يقرّ الولاية بالعهد (ويستريح من يتأسّى بهم وراثة الحكم) ولو ورث سليمان الملك عن أبيه داود عليهما السّلام، ولو عهد أبو بكر وعمر لمن بعدهما ولو عهد معاوية كانت الوحي رأوي الأحاديث رضي الله عنهم وأرضاه لابنه يزيد عفا الله عنه، بل قد يفقد عهد الملك أو الأمير لمن بعده هذا الركن [السادس!] من أركان الإسلام أوحي به إليه سيّد قطب تجاوز الله عنهما، فقد قال في (الشورى في ظلّ نظام الحكم الإسلامي ص ٦): (كان أوّل الأركان هدماً وإقصاءً من نظام الحكم الإسلامي كما قال الحسن البصري رحمه الله: أفسد أمر هذه الأمّة اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، والمغيرة بن شعبة حين أشار على معاوية بالبيعة ليزيد) فشارك الله سيّد قطب تجاوز الله عنه في (ظلاله) وفي ظنّه أن الأمّة هدمت ركناً من أركان الإسلام (سياسة الحكم) منذ القرن الأول، وفي سبّ صحابيّين من كبار الصحابة رواة الأحاديث، واستدل سيّد في سبّه الصحابة برواية كاذبة عن علي رضي الله عنه وعن مؤرّخ متّهم بالتشيع، واستدلّ عبد الرحمن برواية مفتراة على التابعي الجليل الحسن البصري رحمه الله. قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في (تصنيف الناس بين الظنّ واليقين): (أطبق أهل الأمّة الإسلاميّة على أن الطعن في واحد من الصحابة رضي الله عنهم زندقة مكشوفة) ص ٦٢ ط (١) ١٤١٤، وكرّر هذا الحكم عن أبي زرعة الرازي رحمه الله (ص ٦٤). فكيف باثنين فأكثر؟

سأله الصحفي: متى يثور السلفي؟

فأجاب عبد الرحمن عبد الخالق: (كلّ مسلم مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام في وجه الباطل ... كل سلف الأمة أنكروا باللسان على الحاكم ... السلفيّون لا يخرجون بالسيف، أمّا الخروج بالكلمة والتظاهر حتى تنحية الحاكم كما حدث في الثورة المصرية ... وثورة تونس العفويّة أمّ الثورات المعاصرة).

وسأله الصحفي: الاعتصامات والتظاهرات وغيرها مشروع؟

فأجاب الأستاذ عبد الرحمن: (أيّ صورة يتّفق عليها الناس مشروعة وجائزة سلمياً)، مع أنه لم يخالف الصحفي في أنّ نسبة الأمّية ٤٠٪ ولم يبيّن كم نسبة السلفيّين أو مجرّد المتديّنين في المتظاهرين من مصر أو تونس أو غيرهما، وما دام الظنّ هو الحاكم فلنقل: لا يوجد بينهم سلفي حقّاً، وثورة تونس (العفويّة) أمّ الثورات المعاصرة (انتحرت بقاتل نفسه) ولا أظن أنني في حاجة إلى تذكير الأستاذ عبد الرحمن أنّ قاتل نفسه في النار وعقوبته: تكرار قتل نفسه بمثل ما اختار لها في الدنيا، وبئس الاختيار وبئس القدوة، عافانا الله مما ابتلاهم به جميعاً.

وإذا بدأت المظاهرات والاعتصامات السلمية كما يصفها الأستاذ عبد الرحمن، ألن يقوم الحاكم بمسئوليته في حفظ الأمن الذي به تقوم الحياة الدينية والدنيوية إلا بفضل الله به؟ وإذا فعل ألن يقوم المتظاهرون بحرق سيارات الشرطة ومراكزها كما فعلوا؟ ما هي الحال الأمنية الآن بعد أشهر من التظاهرات السلمية في تونس ومصر التي أعجب بها الأستاذ عبد الرحمن وجماعة قدوة؟

٥) بعد أن جال وصال الأستاذ عبد الرحمن حولته وصولته السياسية القاصرة عن الفقه في الدين وعن الفكر السياسي، وبعد أن قرر بحق فيه: (العمل السياسي من الدين أو هو الدين)، وأن البرلمان إذا وضع نظاما اقتصاديا حرا أو مقيدا [بالشريعة أو القانون؟] فعلى الأمة الرضا بقرار الأغلبية) ونحو ذلك، قال الصحفي: لأول مرة أستمع إلى سلفي يحترمني، وسأله: هل أنت سلفي بالفعل؟ فضحك الأستاذ، وداعب عصاه، ولم يرد.

٦) وبشر الأستاذ عبد الرحمن محاوره حسن عبد الله من جريدة الوطن بأنه الآن يكتب آخر كتبه (في كرامات الصوفية) وظن أن محاوره (سيتونس) به ويفرح به كثيرا. وقلت في نفسي: اللهم سالم سالم، لعله لا يقترف ما منشأه هو به: (تنازل عن بعض الحق أو تقاض عن بعض الباطل)، وفي الغالب: لن يستونس صحفي ويفرح بأقل من ذلك، وليس أكبر مشكلات المنتمين إلى الإسلام (والسنة) اليوم فضلا عن المبتدعة أن نسبة الأمية ٤٠٪ فقد كنا في أحسن أحوالنا «أمة أمية لا نكتب ولا نحسب». أكبر المشكلات أن أكثر المنتمين للإسلام والسنة فمن دونهم ينافسون اليهود والنصارى والوثنيين في عبادة أوثان المقامات والأضرحة، وطلاب العلم الشرعي منصرفون إلى السياسة (أو السياسة) الرخيصة نقلا من مراجعها ومنابرها الغربية وتحليلات ساذجة لما لا يملكون له بداية ولا نهاية من الأخبار العالمية؛ فيأخذون الظن ممن يسمونهم أعداءهم ويتركون ما يسر الله لهم من يقين الوحي بفهم الفقهاء الأول في الدين، لعل أحدهم يوصف بأنه مؤسس السلفية المعاصرة كما أغرى صحفي الوطن زورا.

ولعل أخي الأستاذ عبد الرحمن يقبل نصيحتي هذه المرة فيقارن بين السياسة الشرعية التي هي من الدين أو هي الدين نزل به الوحي وفهمها السلف وبين السياسة الدولية من وسائل الإعلام لعله يتبين الفرق بينهما والعاذ الله وإياه من الحور بعد الكور ٤٣٢/٦/٦٤.